الفصل الخامس

فلسفة الذعاية الصهيونية

obeikandl.com

obeikandl.com

فلسفة الدعاية الصهيونية

كان الانطواء والتخلف الفكرى السمتين الملازمتين الأقليات اليهودية التى انتشرت فى أنحاء العالم حتى بالنسبة لمن كان منها أوربيًّا وعاصر النهضة العلمية فى مطلع القرن الثامن عشر . .

وظل ذلك حالهم إلى ظهور الحركة المسماة « هاسكالاة » أو حركة التنوير التى دعا إليها « موسى مندلسون » فى ألمانيا والتى كانت ترمى إلى خروج اليهود — من عزلتهم ومسايرة عصر النهضة والاندماج فى المجتمعات الأوربية المحيطة بهم وتجنب الجمود الدينى . وهدف مندلسون[1] من وراء دعوته تلك إلى تنازل اليهود عن النزعة الفردية — العنصرية والتخلى عن فكرة الخلاص[2] .

وكانت نقطة التحول التى تلت ذلك حين نادى الصحفى النمسوى تيودر هرتزل عام ١٨٩٦[3] فى إنجيله عن الصهيونية بالدولة اليهودية .

ولم يمض عام حتى تأسست المنظمة الصهيونية فى مؤتمر بازل[4] الذى

---

(١) فيلسوف ألمانى — مترجم العهد القديم من العبرية إلى الألمانية ومفسره وبذلك بدأت مرحلة جديدة فى تاريخ اليهود — وكان من أوائل الذين طالبوا بتحرير اليهود — وكان مندلسون يجمع فى وقت واحد بين الانتماء إلى اليهودية وإلى الأمة الألمانية — وكان يجهز لتعليم أبناء دينه الألمانية ، وبذلك يعدهم لتقبل الثقافة الجرمانية — ولقد بدأ يترجم التوراة إلى الألمانية — ثم قرر أن ينشرها باسمه وعلى نفقته الخاصة ولقد كان لهذه التجربة أثر فعال فى جعل اليهود يشاركون فى حركة التقدم المعاصرة وولدت فيهم الرغبة القوية لتبنى القومية والثقافة الألمانية — وبدأت معهم عهداً جديداً فى مجال تعليم الصغار ونظام المدارس اليهودية .

(٢) مركز الدراسات الفلسطينية (مؤسسة الأهرام) أبعاد الصراع العربى الإسرائيلى ص ٧ .

(٣) يورى إيفانوف — احذروا الصهيونية — دار تودسى للطباعة والنشر .

(٤) دراسات اشتراكية — عدد أغسطس ٧٢ — الصهيونية ومعاداة السامية — بقلم — ف. ج. كسولار ص ١٥٩ .

أعلن برنامج خلق الدولة اليهودية ورفض فكرة اندماج اليهود فى المجتمعات التى يعيشون فيها . ويتضح من هذا أن الفكرة الرئيسية للصهيونية ، أى القول بأن اليهود لا يستطيعون الاندماج وأنهم يمثلون هوية قومية فريدة ، إنما تتفق على وجه العموم مع سائر الأفكار والمفاهيم العنصرية العدوانية .

ولقد ازدهرت الحركة الصهيونية بعد عام ١٩٠٥ [١] واتبعت نفس الأساليب التى اتخذتها كافة الحركات الإمبريالية الأخرى بمساعدة وتعضيد عدد من الاستعماريين مثل لورد شافتسبرى وهنرى تشرشل ، وسارعت الاحتكارات الرأسمالية الكبيرة بالمساهمة فى إقامة المستعمرات وتنفيذ المشروعات الاستيطانية اليهودية المختلفة فوق أرض فلسطين [٢] .

ولقد تعاونت الصهيونية — كحركة إمبريالية — مع كافة أشكال الاستعمار الأخرى [٣] حتى ما كان ينادى بالعداء للسامية واليهودية .

كل ذلك ساعد على تكوين منظمات عسكرية إرهابية للحركة الصهيونية فى فلسطين نجحت فى حمل سلطات الانتداب البريطانى على السماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين (حسب وعد بلفور) وعلى الاعتراف والتعامل مع الوكالة اليهودية ومساعدة الحركة الصهيونية بكل الوسائل حتى كان قرار التقسيم عام ١٩٤٧ ثم تخلى بريطانيا المفاجئ عن انتدابها للعصابات الصهيونية لإقامة دولة إسرائيل .

الأسس الايديولوجية للدعوة الصهيونية :

ولقد تحددت للحركة الصهيونية بالفعل من خلال عملها التنظيمى ملامح شبه أيديولوجية اعتمدت عليها فى عملها الدعائى ، يمكن أن نلخصها فى النقاط التالية :

---

(١) الخطر الصهيونى — دار الكتاب العربى — بيروت ١٩٦١ .

(٢) جالينا فيكيتينا — دولة إسرائيل — دار الهلال ص ٢٠ .

(٣) الصهيونية — الطليعة — نوفمبر ١٩٧١ ص ٣٧ .

(ا) الادعاء بأبدية العداء للسامية (وهو العنصر الذى ينتمى إليه يهود العصر القديم) فى كل زمان ومكان .

(ب) القول بحتمية لجوء اليهود إلى وطن خاص بهم يكفل لهم الحماية الكافية .

(حـ) الادعاء بوجود حضارة عبرية قديمة وأن للثقافة العبرية أفضالها على العالم وحضارته أجمع .

(د) التأكيد على تميز العنصر اليهودى على غيره من العناصر وأن العالم مدين له بإنجازاته العلمية والفنية المعاصرة .

وهذه العناصر المترابطة يمكن فى الحقيقة اعتبارها أساساً لأيديولوجية تبريرية تستهدف فرض عودة الاستعمار الاستيطانى على فكر وحضارة القرن العشرين .

ولقد عملت الدعاية الصهيونية بكل قواها على ترسيخ فكرتى أبدية المعاداة للسامية والتميز على سائر الشعوب والطوائف الأخرى فى التكوين السيكولوجى اليهودى العالمى [1] .

وقد استهدف المخطط الدعائى الصهيونى من وراء ذلك تحقيق هدفين أساسيين هما :

أولا : تجنيد يهود العالم تحت ضغط الشعور بالاضطهاد والتميز :

وذلك للمساهمة فى المخطط الصهيونى الإمبريالى لخدمة مصالح الرأسمالية اليهودية وسائر المصالح الاستعمارية المرتبطة بها والتى تستهدف دعم رأس الجسر الإمبريالى على أرض فلسطين .

ويعمل المخطط الصهيونى الإمبريالى بالطبع إلى تحريك واستغلال أكبر قدر ممكن من اليهود تحت شعار الصمود متحدين أمام المعاداة الأبدية

---

(١) قدرى حفنى – تجسيد الوهم ص ٨٣ . مركز الدراسات الفلسطينية الأهرام – القاهرة ١٩٧١ .

للسامية فى كل مكان . فذلك الشعار كما تعتقد الدعاية الصهيونية يقربهم مكانيًا كما يقربهم نفسيًا وذهنيًا ، تحت حجة الدفاع عن النفس . والحقيقة هى خدمة ذلك المخطط الصهيونى الإمبريالى .

وحسب منطق هرتزل فإن الأمة اليهودية لن يعود لها وجود فى حالة اختفاء الشعور المعادى للسامية . ولقد كتب يقول : « وقبل كل شىء أدركت فراغ وعبء الجهود المبذولة لمكافحة معاداة السامية — ومن هنا أستخلص أن حل المسألة اليهودية لا يكون بالنضال فى سبيل القضاء على معاداة السامية ، أو لتحقيق المساواة الكاملة فى الحقوق لليهود فى كل البلاد التى يعيشون فيها ، وإنما فى فصل اليهودى من غير اليهودى ، وإقامة دولة — يهودية — يمكن أن تتحد فيها من جديد الأمة اليهودية[1] .

ومن المنطق — بعد ذلك — وفى ضوء هذا الفهم لحرص قادة الحركة الصهيونية على إذكاء روح اللاسامية أن تقدم الصهيونية نفسها على أنها الحل لمشكلة — معاداة السامية — وفى ذلك يقول سركابى « لقد أسهمت الصهيونية بنصب أساسى فى حل المشكلة السامية للنازية — تلك المشكلة التى سوف تستمر قائمة طالما أن اليهود يشكلون أقلية بين الأمم ؛ وباسم انتصار الديمقراطية على الفاشية تطالب الصهيونية بفلسطين ؟ وتقول جولدا مائير : إن الشعب اليهودى يطالب بأن يكون لنا الحق فى وطن وفى مكان خاص بنا كنتيجة لهذه الحرب ولانتصار الديمقراطية على الفاشية والنازية[2] .

ثانياً : استغلال عقدة الذنب لدى شعوب العالم وأوربا بصفة خاصة بإلقاء عبء اضطهاد اليهود عليها خلال الأزمنة التاريخية المختلفة :

وبنفس ذلك المنطق المقلوب تريد أجهزة الإعلام التى تحركها الصهيونية فى المجتمع الدولى إقناع الرأى العام العالمى بأن خروج أجداد اليهود الأول من

---

(١) مجلة دراسات اشتراكية — الدور الرجعى للصهيونية « هايمان لوبر » عدد يناير ١٩٧٢ .
(٢) مجلة الطليعة — نوفمبر ٧١ ص ١٤ ، ١٥ .

فلسطين كان نتاج اضطهاد ما زال مستمراً حتى الآن . وبالتالى فإن على المجتمع الدولى أن يتسامح معهم فى جرائمهم حين يضطهدون هم بدورهم الأمم والطوائف الأخرى وحين تمتد مستعمراتهم من النيل إلى الفرات ، فهم يريدون أن يفرضوا على العالم مساعدتهم ، حيث إنهم هذه المرة مضطهدون من العرب .

ولقد استخدم اليهود هذا المدخل الفكرى بطريقة فعالة حتى إن أحد الكتاب اليهود علق على ذلك بقوله : « يغلف العلاقة ما بين الصهيونية ومناهضة السامية ستار دخان من العاطفية التى تردع كثيراً من الناس بما فى ذلك اليهود من إعلان شكواهم من الصهيونيين . وعدم الرغبة هذا — (الرغبة فى الاتهام بهذه التهمة) — معروف جيداً لدى رجال العلاقات العامة اليهود الذين يعزفون على وترها بشكل متواصل وغالباً ما يصعب تمييز هذا العزف عن الابتزاز العاطفى »[1] ولذلك فإن على هذه الشعوب أن تدفع لأخطاء غيرها ما تريده الصهيونية . وبرغم ما فى ذلك من تناقضات وافتراءات وبعد عن المنطق السليم فإن إسرائيل استطاعت بالفعل الحصول على العديد من الهدايا والمساعدات التى ساعدتها على خلق اقتصاد يقوم بالدرجة الأولى على هبات الآخرين وعلى خلق مؤسسة عسكرية عدوانية فى دولة إسرائيل .

ونظرة واحدة على ما استطاعت الحركة الصهيونية ودولة إسرائيل بالتالى — ابتزازه من ألمانيا الغربية تحت اسم التعويض عما لحق اليهود ، إبان عهد النازى تثبت هذه الحقيقة — فقد نصت اتفاقية التعويضات مع ألمانيا الغربية على دفع تعويض قدره ٨٣٣ مليون دولار لإسرائيل مما كان له أطيب الأثر على استقرار الاقتصاد الإسرائيلى وتدعيم المقدرة العسكرية الإسرائيلية[2] وكان نصف قيمة التعويض يدفع عن طريق مد إسرائيل بالمعدات الثقيلة والمواد الخام اللازمة لصناعة البترول والسفن والسكك الحديدية .

---

(١) حامد ربيع — فلسفة الدعاية الإسرائيلية ص ١٦٨ .

(٢) جالينا مكتينا — دولة إسرائيل — دار الهلال ص ١٨٣

وهناك أمثلة كثيرة للابتزاز العاطفي لشعوب أوربا وأمريكا وغيرها عن طريق الضرب اليومي على وتر معاداة السامية ، نذكر طرفا منها هنا . ويتمثل الابتزاز الصهيوني في المثال الأول في تلك الضجة التي شهدتها ألمانيا الغربية منذ سنوات[1] حول مسرحية غنائية اسمها « عذابات المسيح » تحكي قصة عذاب المسيح وصلبه على يد اليهود ، ويجرى تمثيل المسرحية كل عشر سنوات في قرية ألمانية صغيرة في مقاطعة بافاريا . ولكن الدعاية الصهيونية لا يمكن أن تترك مناسبة كهذه تمر في هدوء ، ويجب أن تتحول « عذابات المسيح » إلى « عذابات اليهود » وتوجه الاتهامات بمعاداة السامية إلى السلطات الدينية وغير الدينية في ألمانيا الغربية ، وتكون هذه فرصة للابتزاز بإثارة خواطر أيام حكم هتلر وغيرها . والظريف في الأمر أن الذين يتصدون لإثارة هذه الضجة والمناقشات (التي تهيأ كافة الوسائل لنشرها وإذاعتها عن طريق الإذاعة والصحف وغيرها) هم أنفسهم أعضاء ما يسمى « جمعيات التوفيق المسيحية اليهودية » وهي جمعيات تسيطر عليها عناصر تؤيد الحركة الصهيونية وتستخدم كواجهة لأنشطة كثيرة مريبة سياسية وغير سياسية .

ويتمثل المثال الثاني فيما حدث للبروفيسور الفرنسي ورجل المقاومة البارز « بول راسينير » عندما عبر عن حقيقة المبالغات التي تقوم بها الدعاية الصهيونية لتضخيم ما لاقاه اليهود في أوربا أيام حكم هتلر في كتاب بعنوان « التصدى للصهيونية » فقد اتهم بمعاداة السامية وحوصر كتابه بستار من المنع والكتمان — كما أحيط موته المفاجئ بالغموض ، بالرغم من أنه شخصية فرنسية بارزة .

أما المثال الثالث الذي نذكره هنا فيتصل بعملية إرهاب الصهيونية لليهود أنفسهم إذ لا يكاد يمر يوم واحد إلا وتظهر في أماكن مختلفة ومتعددة من أوربا وأمريكا بل إسرائيل نفسها علامات الصليب المعقوف مصحوبة بعبارات تهديد لليهود وتخويفهم من فكرة « معاداة السامية » ...

---

(١) جريدة الأهرام — ٣ — ٦ — ٧٠ — مقالة أحمد سلامة « استراتيجية الدعاية الصهيونية » .

زيف الأساس الأيديولوجى للدعوة الصهيونية :

تعتمد الأيديولوجية الصهيونية — كما قدمنا — على الادعاء بأن اليهود فى جميع أنحاء العالم يكونون جنسية واحدة . فقد كانت فكرة هرتزل الأساسية فى إنشاء دولة لليهود تقوم على أساس اعتبار اليهود عنصراً بشرياً متميزاً . وليست تلك أول دعوى عنصرية عرفتها البشرية فى تاريخها الحديث ولكنها دعوى تذهب بالفكر العنصرى إلى أبعد الحدود . فالعنصريون فى الولايات المتحدة يزعمون تفوق البيض على السود . ولا شك أن الإنسان العادى يرفض أن يكون للون البشرة نتائج على المستوى العقلى تهبط بالأسود إلى مستوى أدنى من الأبيض . ولكن على أية حال تلك دعوى عريضة تشمل مئات الملايين من البشر . وتتخذ لها سنداً من مظهر مادى هو لون البشرة ، والعنصريون فى جنوب أفريقيا أو روديسيا يستندون إلى نفس النظرة . أما العنصرية النازية فكانت تقوم على تمجيد العنصر الآرى وهو فى زعمهم مجموعة الشعوب التى تتكلم لغات تواضع علماء اللغة على ردها إلى أصل مشترك هو « الهندية الأوربية » التى لم يثبت تاريخياً أى أثر لها .

أما العنصرية الصهيونية ، فهى تعصب عرقى فى أشنع صوره لأنها تزعم أن كل اليهود فى مختلف أرجاء المعمورة من نسل رجل واحد هو إبراهيم عليه السلام .

فشعب الله المختار ينحدر كله من الأسباط الاثنى عشر الذين رزقهم يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم . الذى أطلق عليه اسم إسرائيل « لأنه قاتل ملاكا من ملائكة الرب » ؛ ومعنى ذلك أن نسل يعقوب ظل نقياً خالصاً من كل اختلاط بدم آخر عبر آلاف السنين وبرغم انتشار اليهود فى أنحاء الأرض من الحبشة إلى آلاسكا .

ومع ذلك فإن التاريخ وعلم الأجناس يقولان غير ذلك :

فالتاريخ يحدثنا عن ثلاثة طرق رئيسية تشمل خطوط الانتشار الكبرى

للدين اليهودى واعتناقه من قبل الشعوب الأخرى وفى بعض الأحيان من قبل شعب بأكمله [١] .

الطريق الأول : نحو شرق فلسطين وغربها .

الطريق الثانى : طريق القوقاز .

الطريق الثالث : طريق أوربا .

فى الطريق الأول سار سبى « بنوخذ نصر » إلى بابل (عام ٥٩٧ق.م) بعد عدوانه على بلاد الشام كلها وأسره للآلاف من أهلها وأخذهم إلى بابل ومن العراق انتقلوا إلى إيران وتركستان — كما سلك اليهود فى عهد التشتت طريقاً غربياً إلى مصر وبرقة وبلاد المغرب وأسبانيا والبرتغال .

وهذه الطائفة التى انتقلت شرقاً وغرباً تشكل طائفة اليهود الشرقيين وعددهم حوالى ٦٠٪ من يهود العالم — وعلى الرغم من أن هؤلاء أقل اختلاطاً بالغير من سواهم من اليهود فإنه من الثابت عند علماء الأجناس أنهم يشتملون على عناصر جنسية متعددة . والطريق الثانى الذى سلكه اليهود هو طريق القوقاز . ولقد كان اليهود فى العصور الوسطى يؤلفون مجموعة كبيرة فى بلاد القوقاز وكان وجودهم هناك من جملة العوامل التى أدت إلى انتشار الدين اليهودى بين شعب الخزر فى أيام الإمبراطور شارلمان ، فى ذلك الوقت اعتنق شعب الخزر جميعاً الدين اليهودى ويفسر ذلك الاعتناق بعدة تفسيرات منها أن قبائل الخزر كان يحيطها المسلمون فى فارس من جانب والمسيحيون فى بيزنطة من جانب آخر . ولم يشأ زعماؤها أن يغضبوا أحد الفريقين إذا اعتنقوا ديانة الطرف الآخر ، فاعتنقوا اليهودية .

الطريق الثالث الذى سلكه بنو إسرائيل فى انتشارهم ، وأدى إلى الانتشار الواسع للدين اليهودى على طول هذا الطريق وعلى الأخص بين الشعوب

---

(١) حسين جميل — بطلان الأسس التى أقيم عليها الوجود الإسرائيلى على الأرض العربية وسلامة الموقف العربى من القضية الفلسطينية — دار الجمهورية — بغداد عام ١٩٦٨ م — المؤسسة العامة للصحافة والطباعة .

الجرمانية والسلافية فى حوض نهر الراين . وفى بولونيا وروسيا الغربية ، أن هذا الطريق — طريق أوربا — وهو أهم الطرق الثلاثة وأعظمها خطراً فى تاريخ اعتناق اليهودية من قبل الشعوب الغريبة عن بنى إسرائيل — وليس هناك أدنى شك أن شعباً يهودياً كبير العدد قد تم تكوينه قبل ميلاد المسيح بحوالى قرنين أو ثلاثة قرون فى الحوض الشمالى لنهر الراين (وهذه المجموعة الكبيرة من اليهود يطلق عليها اسم اليهود الغربيين) .

وبالإضافة إلى الحقائق العلمية المتقدمة التى تدل على انتشار اليهودية عن طريق التبشير واعتناقها من قبل شعوب أخرى غير بنى إسرائيل ؛ فإن هناك أرقاما وإحصائيات لها دلالتها فى تأكيد الحقيقة المتقدمة وهى أن اليهود ليسوا جنسا ينتمى إلى بنى إسرائيل الذين تتحدث عنهم التوراة بل هم من سلالات متعددة — إحداها بنو إسرائيل — يجمعهم الانتماء إلى الديانة اليهودية . ومن الأرقام والإحصائيات التى يرويها التاريخ نتبين ما يلى :

(١) قدر عدد اليهود فى الإمبراطورية الرومانية فى القرن الخامس الميلادى بما يتراوح بين ٤ ملايين و ٧ ملايين .

(٢) أن عدد اليهود عند الخروج الأخير من فلسطين عام ١٣٥ م — كان ٤٠ ألفا فى عهد الإمبراطور الرومانى (مادريان) بسبب اضطهاده لهم .

(٣) ويقدر الكتاب السنوى اليهودى الأمريكى عدد اليهود فى أول عام ١٩٦٦ بـ ١٣ مليونا و ٤٠٠ ألف وبمقارنة الأرقام المتقدمة يتبين أن اليهود ضاعفوا أنفسهم بين ١٠٠ إلى ١٨٠ مرة خلال أقل من ٤٠٠ سنة فى حين أنهم لم يضاعفوا أنفسهم إلا ضعفاً واحداً فى الألف و ٤٠٠ سنة الأخيرة .

هذه النتيجة تفسر لنا الزيادة الأولى التى هى من ١٠٠ إلى ١٨٠ ضعفا بأنها تمت بانتماء شعوب جديدة إلى اليهودية كما يروى لنا التاريخ — لأن هذه الزيادة لا يمكن أن تكون نمواً طبيعياً — فإنهم لم يزدادوا فى خلال الألف وأربعمائة سنة الأخيرة إلا ضعفا واحداً ، ذلك لأن حركة انتماء

شعوب جديدة إلى اليهودية فى القرون الأخيرة قد توقفت .

النتيجة التى نصل إليها فى هذا الموضوع أن الانثربولوجيا – علم الأجناس – وقوانين الوراثة المساعدة لها والحقائق التاريخية تقرر أن يهود اليوم ليسو جميعاً من نسل بنى إسرائيل وأن الأغلبية منهم ينتمون إلى سلالات بشرية متعددة وإلى أجناس مختلفة متباينة فى صفاتها ومميزاتها وذلك نتيجة لاعتناق اليهودية من قبل أقوام أخرى فى أنحاء متعددة من العالم وفى عصور مختلفة – وهكذا يتضح أنه لا جامع يجمع بين اليهود اليوم سوى اعتناقهم للديانة اليهودية مما يفضح كذب الادعاء الصهيونى الذى قامت على أساسه دولة إسرائيل وزيفه .

وبعد هذا العرض التاريخى الذى يهدم الدعوة الصهيونية من أساسها ننتقل الآن لدراسة الأسس الأيديولوجية للدعاية الإسرائيلية الخارجية وهى لا تقل فى كذبها وزيفها عن الدعوة الصهيونية نفسها .

الأسس الأيديولوجية للدعاية الإسرائيلية الخارجية :

قبل أن نتحدث عن أساليب الدعاية الإسرائيلية يجب أن نضع نصب أعيننا حقيقتين هامتين :

أولا : أن السياسة الخارجية لإسرائيل الدولة منذ قيامها عام ١٩٤٨ لا ترسمها حكومة إسرائيل وحدها وإنما ترسمها الصهيونية العالمية موزعة فى بلاد العالم بنزعاتها ومطامعها كما تحمل مسئولية تنفيذها بما تمارسه من ضغوط على حكومات الدول الغربية وبما تؤديه من دعم مالى وسياسى وبشرى .. بل إن لرئيس المنظمة الصهيونيـة العالمية وقادتها ولرئيس المؤتمر اليهودى العالمى وقادته ولرؤساء المنظمات والهيئات الصهيونية المختلفة فى الدول الغربية مراسم وأوضاع مقررة فى حكومة إسرائيل ولهم أقوالهم المسموعة فى توجيه أمورها وذلك منذ خطط لإنشاء إسرائيل حتى إعلان قيامها فى مايو ١٩٤٨ وإلى الآن .

ثانياً : أن الصهيونية العالمية حددت سياستها الخارجية فى نهاية القرن (١٩)

ولا تزال هى وإسرائيل تعتنق هذه السياسة إلى حد كبير[١] .

وتستمد إسرائيل حملتها على العرب من عدة حجج تجيد تدبيجها وهى :

١ — تقول الدعاية الإسرائيلية إن الصهيونية ماهى إلا تعبير عن إيمانها بالعالمية لأنها تجمع الإسرائيليين فى كل مكان بغض النظر عن إقامتهم داخل إسرائيل نفسها برابطة التضامن العالمى ، هذا عدا أنها تناصر قضايا الشعوب السوداء وتدافع عن زنوج أمريكا وتدافع عن قضايا الشعوب الملونة وترتفع إلى القمة عندما تطالب بالتعايش السلمى مع العرب أنفسهم .

٢ — توضح الدعاية الإسرائيلية أن إسرائيل تؤمن بمبدأ المسئولية التاريخية الذى يتمثل فى أن الوضع القائم فى المجتمع العربى قد تحدد بإرادته — أو بعدم إرادته — فى التخلص من وضع التخلف الذى وجد عليه منذ الحكم العثمانى .

٣ — تتشدق دعايتهم بمسئولية الشعب الألمانى عما اقترفه النازى وهتلر فى أجدادهم وآبائهم فيما أسمته « بعقدة الذنب » والتى تطالب من خلالها بالتعويضات المالية لإزالة جزء من آثار أخطاء الشعب الألمانى التاريخية .

٤ — تردد تلك الدعاية أن إسرائيل حقيقة تاريخية وجدت منذ وجود الديانة اليهودية ، وأنها ترتبط بالوجود الغربى ، فاليهودى يرتبط بالتطور التاريخى الذى أصاب المجتمع الأوربى خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر . وتحاول إسرائيل — ولو بالأكاذيب والتحايل — أن تقدم نفسها فى صورة من صور المذاهب السياسية المعاصرة فى أنقى صورها وأعظم مظاهر التعبير عنها . وهنا يجب أن نعترف ببراعة الدعاية الإسرائيلية فهى تحدث الاشتراكى بلغته وتقدم له من نظمها ما يعبر عن النظم الجماعية وبصفة خاصة فى استغلالها الزراعى . وهى تغازل الديمقراطى بأسلوب نظامها السياسى الحزبى وبخصائص العلاقة بين الطبقة الحاكمة والمحكومة حيث تفرض على السلطات الحاكمة الرقابة

---

(١) سيد نوفل : مدخل إلى سياسة إسرائيل الخارجية .

الشعبية بمختلف صورها وتسمح بحق المناقشة فضلا عن حماية الحريات الفردية ، ثم هى تذكر المؤمن بالنازية والنظم الدكتاتورية بأن عقيدتها السياسية هى عقيدة فى جوهرها هيجلية وأن نظامها الحزبى ليس إلا صورة حديثة للنظم التى قدمتها إسبرطة فى الحضارة اليونانية . وهكذا تجعل كل مذهب سياسى يرى إسرائيل صورة لذلك الوجود السياسى الذى كان يتمنى تحقيقه أو يسعى إلى تحقيقه[١] .

٥ — تكرر دعاتهم أن إسرائيل دولة عصرية تمثل أقصى درجات التقدم التكنولوجى والاجتماعى وأنها استمرار للحضارة الغربية وهى حلقة الوصل بين الغرب والشرق برغم أنها تنتمى إلى منطقة الشرق الأوسط جغرافيًا — وأحياناً حضاريًا — وهى بذلك لها الحق كل الحق فى التدخل فى مشكلات هذه المنطقة . بل وتصل الدعاية الإسرائيلية إلى أبعد من ذلك حين تقول إن إسرائيل مدعوة — كدولة متقدمة — لأن تؤدى وظيفتها الكبرى فى مجتمع يسوده التخلف والبربرية والتفرقة والوحشية والتناقض وعدم الثقة . .

٦ — تطالب الدعاية الإسرائيلية ليس بالمساواة بين الشعوب فحسب ولكن بالمساواة بين أبناء الشعب الواحد ولذلك تجدها تتبنى بعض القضايا التى تدل على التفرقة بين أفراد الشعب الواحد (فنجدها تدافع عن قضية الأكراد وهى تهاجم ما تزعمه من موقف النظام المصرى من الأقلية القبطية)[٢] .

٧ — تركز الصهيونية العالمية كل نغماتها على التقدم لا على الأخلاق فهى نادراً ما تمس القضايا الأخلاقية ذات الشمول كالتفرقة العنصرية وحق تقرير المصير ومكافحة الاستعمار لأنها ذات طابع أيديولوجى عميق ، وإذا حدث أن تناولتها فإنما تتناولها من حيث وضعها الخاص ومصالحها الذاتية وحدها وإذا تحدثت عن التفرقة العنصرية لم تتكلم عن جنوب أفريقيا أو أمريكا وإنما عن اللاسامية فقط . وإذا تحدثت عن حق تقرير المصير فإنها

---

(١) د . حامد ربيع ، فلسفة الدعاية الإسرائيلية — بيروت ١٩٧

(٢) المرجع السابق ص ٥٨ .

لا تقصد إلا حقها فى البقاء وفرض الصلح على العرب ، وإذا تكلمت عن الاستعمار فإنما تقصد به (الاستعمار العربى فى اليمن) أو (الاستعمار الشيوعى فى فيتنام) وهذه الزاوية الضيقة فى معالجة القضايا الأخلاقية ذات الطابع العقائدى تنجى إسرائيل من مآزق أيديولوجية وفكرية كثيرة . . ومن هنا جاء تركيزها فى الدعاية على التقدم والبناء والتعمير . . إلى آخر الأسطورة ، وأسطورة التقدم والنجاح عادة هى أكثر الأساطير رواجاً فى الدول الغربية لأنها تحمل ضمناً معنى انتقال شعلة الحضارة الأوربية إلى الشرق[١] .

٨ – وتصور إسرائيل العرب أمام الرأى العام العالمى على أنهم قوم متخلفون يرفضون التقدم الحضارى وعلى أن نظام الحكم العربى دكتاتورى متعصب لا يريد سوى مهاجمة إسرائيل والتخلص منها بل ويتخذ من وجود إسرائيل ذريعة لبقاء نظم عسكرية عنصرية رجعية ، وأن هناك درجة كبيرة من عدم التنظيم فى شئونهم السياسية والإعلامية ، كما أنها تحاول التشكيك فى مبدأ الوحدة العربية فتبرزه على أنه أسطورة لا وجود لها وتستدل على ذلك بالخلافات القائمة بين الحكومات العربية فى المجالات المختلفة كما تبرز الوحشية العربية المزعومة فى اضطهاد اليهود والأقليات الأخرى مثل الأكراد والمسيحيين وأن هذه الدول تبلغ فى تعصبها الحد الذى يجعلها حتى عندما تستقبل المبادئ السياسية العصرية الغربية تصبغها بصبغة محلية تفقدها معناها ومدلولها العصرى[٢] .

هذا فضلا عن اتهام الثورة المصرية بأنها (نازية ناصرية) وبأن العرب يريدون الحرب دائماً أما إسرائيل فإنها تريد السلام[٣] .

٩ – وتصور الدعاية الصهيونية إسرائيل أمام العالم بأنها هى تلك الحقيقة التاريخية التى تبلورت فى منطقة فلسطين ، والتى ترتبط حضارياً بالوجود الغربى أو هى تلك الدولة الوحيدة النقية العنصر فى المنطقة مع التجاهل الكامل

---

(١) محمد أحمد رمضان – دعايتهم نصف الحرب دار الكتاب العربى – القاهرة .

(٢) حامد ربيع : المرجع السابق ص ٦٠ ، ٦١ .

(٣) عبد اللطيف حمزة : الإعلام والدعاية ص ١٩٢ بغداد ١٩٦٦ .

للفروق الجسمانية الواضحة بين « الفلاشة » ذوى البشرة السوداء ويهود بولندا شقر الوجوه ، أو بين يهود كاى فينج الصينيين ويهود اليمن — وهذه الأسطورة تكذبها كل حقائق العلم ووقائع التاريخ اليهودى نفسه[١] .

زيف الدعاية الإسرائيلية :

وإذا كانت الصهيونية تتهم الدول العربية بالعنصرية فى كافة دعايتها — فليس هناك أدلة على كذب ادعائها أكثر مما أعلنه ايبى أشكول (رئيس وزراء إسرائيل السابق) وهى أن اضطهاد اليهود الملونين داخل إسرائيل يمثل أخطر مشكلة تواجهها[٢] . وهكذا فالعنصرية أساس رئيسى من أسس إسرائيل تنشط خارجيًا وداخليًا على جبهته العربية واليهودية الشرقية على السواء[٣] ونحن نستطيع أن نلمس بعمق بعض السر الكامن وراء هذا التمييز العنصرى والحضارى والاقتصادى بين يهود إسرائيل ، بل وعمق الفهم والإدراك لهذا المخطط فهى — أى إسرائيل ليست سامية — فالحقيقة الواقعة هى أن اليهود غير الساميين هم الذين يمارسون فعلا السلطة والقهر والنفوذ فى داخل دولتها وكيانها ، وجريدة « ها آرتس » الإسرائيلية ترى أن « الحكومة الصهيونية » تواجه مهمة غير منظورة هى : جلب ثقافة أوربية إلى اليهودية الشرقية . كما أن يهوديًا من أصل « مراكشى » يعبر عن ذلك بقوله « إن هذه البلاد طيبة . ولكن شعبها ردىء ، إنهم لا يعطوننا ما نريد ، نحن كأبناء الزوجة المكروهين ، وكل مهاجر لا يعرف « الأيديش » (وهى اللغة التى يتكلمها الاسكناز ولا يعرفها الشرقيون) مضطهد » .

على أن عنصرية إسرائيل ومثلها الفاشية تبدو بأقبح مظاهرها فى ميدان التربية والتعليم فكما هو معروف فإن وحدة التكوين السيكولوجى هو أحد الأعمدة التى يقوم عليها بنيان الأمة . وبطبيعة الحال يعطى القادة الصهاينة أهمية كبرى

---

(١) إسماعيل صبرى عبد الله : فى مواجهة إسرائيل ص ٣٩ — دار المعارف .

(٢) مجدى فهمى : المعركة بين العرب وإسرائيل — أزمة إسرائيل من الداخل ص٩١ — ٩٢ .

(٣) محمد عمارة : إسرائيل هل هى سامية ص ١٦٧ — ١٦٨ .

للتأثير الفعال على التكوين السيكولوجي ، ومن هنا فإن كافة البرامج التعليمية في إسرائيل تسعى إلى ترويج فكرة أن اليهود هم شعب الله المختار ونشر الأفكار العنصرية الصريحة . وتبدأ عادة دائرة الأفكار — التي يسمم بها الصهاينة عقول الجيل الجديد والتي يرجى لها أن تستقر في وجداناتهم على نحو يستحيل معه اقتلاعها بعد ذلك — بالتوراة .

ففي سنوات التعليم الإجباري الثماني تشغل دراسة التلمود وغيره من الكتب الدينية ١٥٠٠ ساعة بينما تخصص لدراسة جغرافية العالم الخارجي ٢٠ ساعة .

بل إن حديقة الحيوان في القطاع الإسرائيلي من القدس المحتلة لا تحتوي إلا على تلك الحيوانات التي « تشرفت » بورود ذكرها في التوراة وتوجد على كل قفص لوحة مكتوب عليها اسم الحيوان والعبارة التي ورد ذكره فيها في التوراة .

وفي كل مكان في إسرائيل يرتفع قول التوراة . « هـــذه أرضكم يا بني إسرائيل » . . ويلقن الصغار بقية العبارة عن ظهر قلب . . « من النهر المصري إلى النهر العظيم . . الفرات » . وهنا أصل فكرة إسرائيل الكبرى التي تؤكد الأطماع التوسعية السابقة واللاحقة في اغتصاب الأراضي العربية وإبادة الجنس العربي باسم الدين .

ولقد قام العالم الأمريكي ج . تامارين الذي أقام فترة طويلة في إسرائيل بإجراء بحث مثير على طلاب المدارس الإسرائيلية خرج منه باستنتاجات ذات مغزى كبير ودلالات ملفتة للنظر .

فقد وزع تامارين ١٠٦٦ بطاقة استطلاع رأي ذات مضمون موحد على ٥٠٣ طالبة و٥٦٣ طالباً من تلاميذ فصول مدارس إسرائيلية مختلفة . وكان موضوع الاستطلاع يتعلق بكتاب « عيسوس نافين » وهو مأخوذ عن التوراة ، ويدرس للتلاميذ من الصف الرابع حتى الثامن .

وهذا نص الاستطلاع : « تعرف جيداً الفقرات التالية من كتاب عيسوس نافين : « هاج الشعب ونفخ في المزامير ، وما إن سمع صوت الشعب

المزامير حتى هاج كله فى وقت واحد وأطلق صيحة مدوية وعنيفة وتهدمت جدران المدينة كلها حتى الأساس ، وانطلق الشعب كله فى المدينة ، كل من ناحية تقدم ، واحتلوا المدينة . وصبوا اللعنات على كل ما فى المدينة من رجال ونساء . وصغار وكبار ، وثيران ، ونعاج وحمير ، حتى أتوا على كل شىء عن آخره (٦ ، ١٩ . ٢٠) فى ذلك اليوم دخل عيسوس « ماكيد » فقهرها وملكها بحد السيف وسلط عليها اللعنة وعلى كل ما فيها من كائن يتنفس ، لم يبق على أحد قط ، لا الذين بقوا فى موقعهم ولا الذين لاذوا بالفرار ، وكرر مع ملك « ماكيد » ما سبق أن فعله بملك « أوريجون » ثم مضى عيسوس يتبعه كل الإسرائيليين من « ماكيد » إلى « ليفنا » وأوقع الرب هذه المدينة أيضاً فى قبضة بنى إسرائيل فأخذوها وملكها ، وبحد السيف دمرها عيسوس وأباد كل ما فيها من كائن يتنفس . لم يبق على شىء فيها ، من بقى فى موقعه ومن لاذ بالفرار ، وفعل بملكها مثل ما فعله بملك أوريجون (١٠ ، ٢٨ — ٣٠)

أجب من فضلك على السؤالين التاليين :

١ — هل ترى أن عيسوس نافين والإسرائيليين قد أصابوا أو أخطأوا ؟ مع توضيح السبب فى تكوين الرأى الذى تختاره .

٢ — افرض أن الجيش الإسرائيلى قد استولى أثناء الحرب على إحدى القرى العربية فهل تقر أم ترفض أن يفعل بأهالى هذه القرية ما فعله عيسوس نافين بأهالى أريجون ؟ وضح السبب

ويقول **تامارين** : إن إبادة الجنس تنعكس فى قصص أخرى كثيرة تحفل بها التوراة ، ولكنى اخترت هذه القصة بالذات لأهميتها فى البرنامج الدراسى الإسرائيلى .

وقد وزعت بطاقات استطلاع الرأى على عدد من مدارس تل أبيب وقرية متاخمة لمدينة الرملة ، ومدينة شارون ومستعمرة ميوتشاد وغيرها .

وهذه بعض الإجابات :

كتب تلميذ من مدينة شارون ما يلى : « إن هدف الحرب هو الاستيلاء على أرض إسرائيل ؛ ولهذا فخيراً فعل الإسرائيليون بالاستيلاء على المدينة وقتل سكانها . إذ ليس من المرغوب فيه أن توجد عناصر أجنبية فى إسرائيل ، فقد يكون لوجود سكان يدينون بأديان أخرى أثر ضار على الإسرائيليين » .

وكتبت تلميذة من مستعمرة ميتوتشاد ما يلى : « خيراً فعل عيسوس نافين بغزو المدينة وقتل السكان فى أريحون ، ذلك أنه لم يكن لديه متسع من الوقت للانشغال بأمور الأسرى » .

وعلى وجه العموم فقد تراوحت نسبة الإجابات المشابهة من ٦٦ إلى ٩٥ / بتغيير المدرسة أو المدينة أو المستعمرة .

وقد أجاب ٣٠٪ من التلاميذ بالإيجاب على إمكانية إبادة جميع سكان قرية عربية محتلة فى أيامنا هذه .

وفى هذا الشأن تقول إجابة تلميذة فى الصف السابع : « فى رأيى أن كل شىء قد تم كما ينبغى ، فقد كنا نريد قهر أعدائنا وتوسيع حدودنا ، وبنفس الطريقة يمكن قتل العرب كما قتل عيسوس نافين وبنو إسرائيل أهالى أريحون » .

ويقول تلميذ فى الصف الثامن : « فى رأيى أنه يتحتم على جيشنا أن يفعل بأهالى القرية العربية ما فعله عيسوس نافين بأهالى أريحون ، فالعرب هم أعداؤنا وحتى فى الأسر لا بد أنهم سيحاولون انتهاز الفرصة لفتك بحراسهم[1] » .

تلك هى بعض الثمار الملموسة لسياسة التعليم الصهيونى ، وهذه الثمار لم تنضج من تلقاء نفسها وإنما على شجرة الأيديولوجية الصهيونية التى تضرب جذورها الفاشية إلى أعماق بعيدة .

وهذا يوضح مدى كذب الدعاية الصهيونية فى ادعاءاتها الديمقراطية والاشتراكية . .

---

(١) يورى إيفانوف – الصهيونية حذار . ص ٤٢ – ٤٤ .

تخطيط الدعاية الإسرائيلية الخارجية :

استكمالا لبحثنا هذا عن الدعاية الإسرائيلية نتناول فى السطور التالية أسلوب إسرائيل فى تخطيط دعايتها الخارجية ، فالمعروف أن الدعاية الإسرائيلية الخارجية تقوم على أساس تصنيف الجمهور الخارجى المستقبل لها إلى فئات ثلاث :

١ — جمهور موالى ومعظمه من اليهود

٢ — جمهور معادى ومعظمه من العرب والمسلمين

٣ — جمهور محايد أو شبه محايد

ونعرض فيما يلى لأسلوب الدعاية الإسرائيلية فى مخاطبة كل فئة من هذه الفئات .

أولا : الجمهور الموالى :

يتمثل الجمهور الموالى لإسرائيل فى الجماعات والمنظمات الصهيونية فى أوربا وأمريكا وبعض جهات آسيا وأفريقيا وكذلك المجتمعات التى تؤيد إسرائيل والصهيونية العالمية وذلك بسبب ترابط مصالحها الاستعمارية .

وتكون المنظمات الصهيونية الموالية لإسرائيل أداة دعائية تعمل على ترويج مبادئ الصهيونية بين اليهود الذين يعيشون خارج إسرائيل وتشجعهم على الهجرة إليها كما أنها تنظم المظاهرات التى تؤيد أو تعارض مواقف دولية معينة طبقاً لنوع هذه المواقف واتجاهها بالنسبة لإسرائيل والصهيونية ، كما أن هذه المنظمات هى التى تمتلك معظم المشاريع الاقتصادية والإعلامية الهامة فى أوربا وأمريكا ولذلك فإسرائيل تستخدمها كأداة ضغط على حكومات الدول الموجودة بها من أجل ضمان وقوف هذه الدول إلى جانبها ماديًا ومعنويًا . ولعل أبرز ماتقوم به هذه المنظمات دورها فى انتخابات الرياسة الأمريكية كل أربع سنوات ، والذى تكشفه التصريحات المتشابهة أو المتطابقة لكل مرشحى الرياسة الأمريكية سواء من الحزب الجمهورى أو الديمقراطى المؤيدة لإسرائيل والصهيونية العالمية ، مثل هذه المنظمات يكون دور الدعاية الموجهة إليها من إسرائيل دوراً إعلاميًا بحتاً لا يقوم على الاقتناع بفكرة مضادة أو تحويل وجهات النظر وإنما يقوم بتدعيم الأفكار الصهيونية لديهم .

أما الجمهور الموالى غير المنتمى إلى المنظمات الصهيونية أو غير اليهودى . فيقتصر دور الدعاية الإسرائيلية بالنسبة له على تأكيد الادعاءات والمزاعم الصهيونية ومحاولة تحصينه بصفة مستمرة ضد أى دعاية مضادة . ومما يساعد الدعاية الصهيونية فى هذا المجال موقف الحكومات المؤيدة لإسرائيل دون تحفظ وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية .

وتستغل الدعاية الإسرائيلية فى توجيهها للجمهور الموالى لها بعض المتناقضات الموجودة فى العالم العربى . وبعض التصريحات غير المدروسة التى كان ينادى بها بعض الزعماء العرب من حين إلى حين آخر . وتذكر على سبيل المثال تصريحات ما قبل حرب يونيو ١٩٦٧ التى كانت تنادى بمحو إسرائيل من الوجود .

فقد التقطت الدعاية الإسرائيلية عندئذ تلك التصريحات لكى تدعم الصورة الذهنية الوهمية التى كانت تحاول أن تؤكدها لدى الرأى العام العالمى عن التشابه الأصيل بين أساليب النازية الألمانية والقومية العربية . ولكى تؤكد حتمية التفاف اليهود فى جميع أنحاء العالم حول الحركة الصهيونية وحول دولة إسرائيل الملاذ الأمين لجميع يهود العالم ضد الاضطهاد والعنصرية .

ومن الطبيعى جداً أن يكون الجمهور المؤيد لإسرائيل تأييداً كاملا إلى حد التعصب جمهوراً معادياً للعرب .

ثانياً ـ الجمهور المعادى :

تركز الدعاية الإسرائيلية على هذا النوع من الجمهور تركيزاً شديداً . ويمكن تقسيم هذا النوع من الجمهور إلى قسمين :

١ ـ جمهور عربى معادى للوجود الإسرائيلى والمنطق الصهيونى أساساً .

٢ ـ جمهور غير عربى معادى للكيان الإسرائيلى والمنطق الصهيونى أو معارض لمواقف معينة تتخذها إسرائيل .

وتستند الدعاية الإسرائيلية الموجهة إلى الشعوب العربية على النظرية النازية فى الدعاية المستقاة من أفكار فرويد الذى يرى فى الإنسان مجموعة من العقد

والنقائص . بهذا المعنى فهى تصغى إلى المواطن الممتلئ بهذه النقائص والذى يعانى بالتالى من حالة تعذيب نفسية . ثم تتجه إليه فى عملية تضخيم وتشويه للعقد الكامنة بحيث يكون رد الفعل هو الاستجابة إلى ذلك الموقف الذى تسعى إلى الوصول إليه من عملية الدعاية[١] .

وهذا هو ما تمارسه الدعاية الإسرائيلية بالفعل إزاء الشعب العربى وما يمكن ملاحظته بسهولة من متابعة برامج الإذاعة الإسرائيلية الموجهة باللغة العربية قبل معركة ٦ أكتوبر المجيدة من استغلال للوضع العربى المشبع بروح الهزيمة ، والوضع الاقتصادى المتضعضع ، والموقف الدولى الذى لا يشجع على وجود أى أمل فى ضغط دولى لانسحاب إسرائيل من الأراضى المحتلة بعد حرب يونيو ١٩٦٧ ، بالإضافة إلى غياب الترابط العربى وما اصطلح على تسميته بوحدة الصف العربى ، ولذلك فإن الدعاية الإسرائيلية التى كانت موجهة إلى العرب عندئذ لم تكن تقوم على الاقتناع المنطقى بقدر قيامها على استغلال الوضع العربى السيئ ، وتحت تهديد هذه الظروف حاولت الدعاية الإسرائيلية مستخدمة كافة الأساليب الأعلامية المستقاة من الدعاية الإغراقية الأمريكية السابق الحديث عنها وبالتعاون الوثيق معها بث روح الهزيمة واليأس بين صفوف العرب بل والأخطر من ذلك أنها وجدت بعض الكتاب العرب الذين يروجون لمثل هذه المزاعم من غير وعى فى أغلب الظن ، أو هكذا نرجو على الأقل[٢] . .

وهكذا وجهت إسرائيل دعايتها إلى جماهير الشعب العربى قبل ٦ أكتوبر على أسس نفسية خالصة مستهدفة فى المقام الأول ترسيب الشعور بالمذلة والهوان والتخلف الأبدى وعدم القابلية للتقدم وبث شعور الذعر والانهيار والتسليم التام بالتفوق الإسرائيلى الساحق والتأكيد القوى على أن إسرائيل قلعة صامدة إلى أبد الدهر وأن من صالح الشعوب العربية السعى إلى خطب ودها وصداقتها وإلا فليس أمامها سوى الدمار الشامل والتشرد المطلق .

---

(١) د. حامد ربيع « فلسفة الدعاية الإسرائيلية » ص ٤٩ .

(٢) مختار التهامى : تحليل مضمون الدعاية فى النظرية والتطبيق — دار المعارف — القاهرة .

وتمهيداً لهذا الاستسلام المنشود وتبريراً له ، ألقت الدعاية الإسرائيلية عبء الحرب والأزمات التي نشبت بين العرب وإسرائيل على عاتق حفنة من الزعماء العرب وليس على الشعب العربي .

ولعل عبور ٦ أكتوبر العظيم كان أبلغ رد من جانب شعوب الأمة العربية بأكملها على ادعاءات الدعاية الإسرائيلية المزهوة الداقة الأسافين .

أما في مجال الدعاية الموجهة إلى شعوب الدول الإسلامية غير العربية فإن إسرائيل كانت تعمل حتى معركة ٦ أكتوبر على تجنب اشتراك هذه الدول الإسلاميه .

وقد نجحت في ذلك مع بعض منها وخصوصاً تركيا وإيران بل إن إسرائيل في هذا المجال لم تقف عند هذا الحد بل إنها حاولت فصم عرى التعاون بين الدول العربية والإسلامية وذلك بتصوير العرب على أنهم عنصريون لا يحبون الإسلام . فقد تلقت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية صورة من خطاب بعث به مواطن تنجانيقي قبيل حرب أكتوبر لرئيس وزراء المملكة الأردنية الهاشمية جاء فيه أنه يوجد في إسرائيل نحو ٥٠ سيدة تنجانيقية يتلقون دراسات مختلفة لمدد طويلة وقصيرة ومعظمهم زوجات وبنات زعماء مسلمين ، وتنظم لهن إسرائيل محاضرات مرضرعها . . العرب الذين لا يؤمنون بالدين الإسلامي [1] .

أما بالنسبة لدول المعسكر الاشتراكي ، والتي تقف معظمها من إسرائيل موقف العداء باعتبارها طليعة أداة للامبريالية العالمية في منطقة الشرق الأوسط ونظراً لأن هذه الكتلة ترفع شعار محاربة الاستعمار في كل مكان . ورغم أن هذه الدول ترتبط جميعها برباط النظام الاجتماعي الموحد، وهو النظام الشيوعي وبرغم وجود منظمات دفاعية واقتصادية تجمعها في إطار واحد. ونقصد بذلك منظمة حلف « وارسو » في المجال العسكري ، والكوميكون في المجال الاقتصادي. برغم ذلك كله فقد اتبعت الدبلوماسية والدعاية الإسرائيلية مع هذه الدول مبدأ تجاهل وجود سياسة خارجية موحدة لهذه الكتلة وسعت للتعامل معها كل على حدة ويتضح ذلك من تصريح لأبا إيبان قال فيه (إن إسرائيل لا تعامل هذه الدول

---

(١) حامد ربيع « الدعاية الصهيونية ص ١٥٩

ككتلة شرقية ، ذلك أنه بالرغم من الفلسفة الاجتماعية التى ترتبط بينها جميعاً إلا أن كلا منها تعتبر دولة مستقلة ذات سيادة [١]) .

وكانت إسرائيل بذلك تحاول أن تكون لها قاعدة رسمية فى هذه الكتلة تؤيدها خاصة وأن هناك رصيداً هائلاً من المستوطنين اليهود فى أوربا الشرقية وروسيا كانت تطمح إلى تهجيرهم بعد إنشاء مزيد من المستعمرات الإسرائيلية عقب حرب يونيو ١٩٦٧ ، وبرغم أن موقف معظم دول هذه الكتلة من إسرائيل عقب هذه الحرب قد تغير كلية — فقد قطعت هذه الدول باستثناء رومانيا علاقاتها السياسية مع إسرائيل — فإن رد الفعل الإسرائيلى كان ولا يزال يتبع (سياسة الصبر اليقظ الذى يتمثل فى العمل الدائب الصبور وعدم الاستهانة بأى مظهر من مظاهر الاتصال والصداقة يمكن الحصول عليه [٢]) .

ولقد اعتمدت الدعاية الإسرائيلية على التركيز على الاتحاد السوفيتى بصفة خاصة بعد حرب ١٩٦٧ نظراً لموقفه الإيجابى مع الدول العربية ومساعدته العسكرية الكبيرة لهذه الدول لصد العدوان الإسرائيلى ، ولذلك فإن الدبلوماسية الإسرائيلية فى الخارج والدعاية الصهيونية أخذتا تعملان على ما يلى :

١ — إحراج حكومة الاتحاد السوفيتى ووضعها فى موضع الدفاع أمام الرأى العام العالمى مع تحاشى اتهامها باللاسامية ، ودون التعرض للعقيدة الشيوعية بشكل عام .

٢ — توضيح ما تعتبره « خصائص إنسانية تقدمية » فى الحركة الصهيونية .

٣ — مطالبة الاتحاد السوفيتى بالسماح لليهود من رعاياه والبالغ عددهم حوالى ثلاثة ملايين نسمة بأن يعيشوا حياتهم الخاصة دينياً وثقافياً واجتماعياً وأن يسمح بالهجرة لمن يريد منهم ذلك .

---

(١) منذر عنتباوى « أضواء على الإعلام الإسرائيل » ص ٣٧ — دراسات فلسطينية — بيروت .

(٢) نفس المرجع السابق ص ٣٧ — « ظهرت فكرة المعاداه السامية فى الحرب العالمية حين كان هتلر يحتقر الجنس السامى ، ويدعو للجنس الآرى ، والمعروف أن العرب أيضاً ساميون وكان هتلر يحتقرهم ويضعهم فى المرتبة التالية لليهود مباشرة ، ولكن بعد الحرب استغل اليهود هذه الفكرة وأخذوا يعملون على كسب عطف الشعب الأوربى والأمريكى ومنذ تلك الفترة ارتبطت السامية باليهود فقط .

ثالثاً ـ الجمهور المحايد :

هناك نوع ثالث من الجمهور الذى لا تربطه بعملية الصراع العربى الإسرائيلى روابط قوية وذلك نتيجة للبعد الجغرافى عن المنطقة بالنسبة لبعض الدول بحيث إن هذا البعد ينفى وجود مصالح جوهرية بين دول منطقة الشرق الأوسط وهذه الدول ، أو أن يكون ذلك نتيجة علاقات على نفس الدرجة من القوة والترابط بين الدولة المعنية والدول التى يشملها الصراع العربى الإسرائيلى أو يكون ذلك نتيجة لحياد الذى تنتهجه أو تصطنعه بعض الدول مثل سويسرا كسياسة رسمية لها .

وإذا كانت الدعاية الموجهة إلى الجمهور المؤيد تعتبر نوعاً من العمل الإعلامى السهل لتدعيم اتجاهات ومواقف معينة لدى هذا الجمهور ، وإذا كانت الدعاية الموجهة إلى الجمهور المعارض تعتبر نوعاً من الحرب النفسية التى تقوم على القهر المعنوى وقل النفوس وهى لذلك تتطلب مجهوداً ضخماً وتكثيفاً للحملات الدعائية الموجهة التى تقابل غالبًا بحملات دعائية مضادة ، إلا أن الدعاية الموجهة إلى الجمهور المحايد تعتبر نوعاً من العمل الدعائى الذى يتطلب تخطيطاً محكماً وتنفيذاً أكثر إحكاماً .

ولذلك تسعى الدعايات من مختلف الاتجاهات إلى هذا الجمهور فى محاولة كسبه إلى جانبها ، ولماذا نذهب بعيداً والصراع العالمى الأساسى فى عصرنا هذا صراع دعائى بين الشرق والغرب بين الاشتراكية والرأسمالية . . وكل يريد أن يثبت فى عقول الشعوب الأخرى أن نظامه أفضل نظام اجتماعى وحضارى .

ولعل أول ما يلاحظ بالنسبة للدعاية الإسرائيلية هو أن المنطق الدعائى الذى توجهه إلى الجمهور المحايد تحكمه بعض القواعد العامة من حيث الجوهر ولكنه يختلف من منطقة جغرافية إلى أخرى ، ومن شعب إلى آخر حسب التراث ـ الحضارى الذى يحمله ، وحسب نوع العلاقات القائمة بين إسرائيل وهذه الدول

ويمكن تحديد القواعد العامة التى تحكم اتجاهات الدعاية الإسرائيلية الموجهة إلى الجمهور المحايد على النحو التالى :

١ — تضافر الجهود الدبلوماسية مع الجهود الدعائية المنظمة أو الاستعانة فى ذلك بالمنظمات والجماعات اليهودية الموجودة فى عدد كبير من الدول .

٢ — تناسى الجوانب التاريخية للأزمة العربية الإسرائيلية وتجاهل مسألة اللاجئين .

٣ — مخاطبة مراكز القوة فى المجتمع أولا وبذل الجهود المتواصلة للتأثير عليها وكسبها فى صفها .

٤ — مخاطبة الرأى العام من خلال مداخل أو مفاتيح تسهل فهم الاستجابة لدعايتهم .

٥ — محاولة إظهار التجربة الإسرائيلية على أنها نموذج يتخذ ، وعرض هذه التجربة على الدول الأخرى .

٦ — إدخال عناصر لا علاقة لها بالقضية الفلسطينية ولكنها ترمى أخيراً إلى جعل الشعوب نفسها طرفاً فى النزاع العربى الإسرائيلى متحيزاً لإسرائيل .

٧ — إثارة حملات دعائية وتكرارها لتحقيق هدف معين ولتحويل الأذهان عن أى سلوك يدين إسرائيل[١] .

٨ — تأكيد بقاء إسرائيل وتقدمها وقدرتها على حماية نفسها واستعدادها للتعايش السلمى مع العرب[٢] .

وحقيقة الأمر أن هذه الخطوط العامة التى تسير عليها الدعاية الصهيونية تعطى لهذه الدعاية كياناً ثابتاً واستراتيجية محددة ، خصوصاً وأن صانعى القرار السياسى فى إسرائيل يتفهمون ذلك جيداً ، وهم فى كل تصريحاتهم الصحفية وغير الصحفية يحرصون على أن يسيروا على ضوء هذه الخطوط .

---

(١) حامد محمود (الدعاية الصهيونية) ص ٨٧ — ٩٦ مكتبة الإنجلو — القاهرة .

(٢) تحسين محمد بشير : النشاط الإعلامى العربى فى الولايات المتحدة — ص ٤٠ — بيروت ١٩٦٩

« فديان » مثلا كان مولعًا بالإدلاء بالتصريحات التى تقول بمناسبة وغير مناسبة (أن كل موضوع الصراع العربى الإسرائيلى يدور حول وجود إسرائيل لا أكثر ولا أقل) أو (أن أزمة الشرق الأوسط هى مشكلة بقاء إسرائيل وليست أزمة بقاء الدولة العربية) . وكأن الدول العربية هى المعتدية دائمًا وليست إسرائيل .

وإذا خرجنا عن نطاق هذه الأحكام العامة لأدركنا أن الدعاية الإسرائيلية تتنوع من منطقة إلى أخرى وهى فى كل هذه المناطق تعتمد على إثارة قضايا فكرية وتاريخية وإنسانية لتبين موقف إسرائيل الإيجابى منها ، تمويهًا على حقيقتها الفاشية العدوانية .

فلو نظرنا إلى قارة أفريقيا مثلا ، لوجدنا أن الدعاية الإسرائيلية كانت حتى حرب أكتوبر تتخذ طابعًا علميًا إلى حد كبير جدًا بمعنى أنها لم تقتصر على مجرد النشرات والكتب الدعائية التى توزع ، وإنما عملت على استغلال حاجة معظم دول القارة إلى التنمية لكى تغمرها بخبرائها ومستشاريها الذين كانوا يقومون بعمل دعائى ضخم لإسرائيل أكثر مما يعملون لصالح بلاد أفريقيا .

وقد اتضح ذلك فى أكثر من مناسبة ، وكان آخرها دور هؤلاء الخبراء فى أوغندا الذى كشفه الرئيس عيدى أمين .

وهذا الأسلوب — أسلوب تصدير الخبراء — كانت إسرائيل تتبعه فى جميع البلدان النامية فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية . ففى سنة ١٩٦٦ وحدها على سبيل المثال شمل التعاون الإسرائيلى الدولى نحو ٧٠ دولة فى أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية وحوض البحر المتوسط ، وفى نفس السنة قام أكثر من ١٥٠٠ من أبناء الدول النامية بالدراسة المتخصصة فى إسرائيل « ثلثهم فى القطاعات المختلفة فى ميـــدان الزراعة » ، وقام ٦٤٠ خبيراً إسرائيليًا

بالخدمة لفترات مختلفة بالخارج فى إطار عمليات المساعدة التى تقدمها إسرائيل من بينهم ٢٧٥ فى ميدان الزراعة[١] .

وهكذا استطاعت إسرائيل قبل معركة ٦ أكتوبر أن ترسخ أقدامها فى جهات كثيرة من أفريقية وذلك فى شكل مساعدات اقتصادية أو عسكرية إلى هذه الدول لكى تؤكد لدى هذه الدول الأفريقية مدى التقدم العلمى الهائل التى تتمتع به إسرائيل - وطبيعى أن يكون العرب فى الصورة المقابلة من الجهل والتأخر الاقتصادى .

وإذا تتبعنا مسالك الدعاية الإسرائيلية فى القارة الإفريقية لوجدنا أنها كانت تركز على النقاط التالية :

١ — التأكيد على وحدة التجارب التاريخية النفسية للشعبين اليهودى والإفريقى (المشاركة فى التعرض للاضطهاد) .

٢ — التأكيد على أهمية التجربة الإسرائيلية « الفريدة والرائدة » فى أنحاء الدول الإفريقية .

٣ — التأكيد على خلو علاقات إسرائيل بإفريقيا من الأطماع السياسية .

٤ — التأكيد على الدور الهام الذى يمكن أن تلعبه أفريقيا فى تحقيق السلام فى الشرق الأوسط[٢] .

ولقد تجلى نجاح الدعاية الإسرائيلية بصفة خاصة فى دول أفريقيا قبل ٦ أكتوبر فى مجال المساعدات الاقتصادية الإسرائيلية إلى هذه الدول التى تنظر بعين الشك فى أى مساعدة تقدمها الدول الكبرى إليها نظراً لأن معظمها دول حديثة الاستقلال . ولا زالت آثار الاستعمار والاحتلال عالقة بأذهان شعوبها .

---

(١) رد وزير الخارجية أبا إيبان على استجواب من عضو الكنيست روى يراجع فى ذلك (محاضر الكنيست) جلسة ١١ يناير ١٩٦٧ — مركز الدراسات الفلسطينية والصهيونية بالأهرام ص ٢٧٣ .

(٢) منذر عتباوى : أضواء على الإعلام الإسرائيلى ص ٤٥ بيروت ١٩٦٨ .

وفى آسيا يبدو الدور الإسرائيلى كبيراً جداً . فالدعاية الإسرائيلية تركز على أن إسرائيل كدولة أسيوية يجب أن يكون لها دور أكبر فى مشاكل التنمية الاقتصادية بهذه البلدان ، لذلك تركز الدعاية الإسرائيلية على مدى التقدم العلمى والاقتصادى بها ومستوى الدخل القومى المرتفع الذى يزيد عن الألف دولار سنوياً للشخص الواحد . وتقدم نفسها كنموذج للتقدم السريع والنمو المطرد الذى تطمح كل دولة أسيوية إلى تحقيقه ؛ كما أنها تعد لهجرة أكبر عدد ممكن من يهود آسيا إلى إسرائيل ؛ وهذه الفكرة فكرة مساعدة إسرائيل الاقتصادية لهذه الدول هى نفسها التى تروج لها الدعاية الإسرائيلية فى دول أمريكا اللاتينية .

أما بالنسبة لذلك الجانب من الرأى العام الأوربى الذى يقف من الصراع العربى الإسرائيلى موقف عدم الاكتراث أو اللامبالاة فإن الدعاية الإسرائيلية تحاول جذب اهتمامه على أسس دينية خالصة بتذكيرهم بما قالته التوراة عن عودة إسرائيل إلى أرض الميعاد بالإضافة إلى ترويج الدعاية الإسرائيلية بين هذا الجمهور لادعاءاتها بأن إسرائيل هى نموذج الديمقراطية الغربية فى الشرق ، وأنها نتاج للحضارة والفكر الغربى مما يستلزم من جميع شعوب البلدان الديمقراطية الغربية مساعدتها مادياً ومعنوياً .

أدوات الدعاية الإسرائيلية :

تستغل الدعاية الإسرائيلية كل وسائل الاتصال المتاحة أمامها سواء كانت وسائل اتصال جماهيرية أم وسائل اتصال شخصية ؛ كما أن لها قدرة فائقة على التسلل إلى المنظمات الدولية الشعبية (غير الحكومية) .

وسنتحدث عن ذلك باختصار فيما يلى من سطور لمجرد إعطاء القارئ فكرة عامة عن نشاط إسرائيل الدعائى :

أولا — أجهزة الإعلام الجماهيرية :

الصحافة : تسيطر الصهيونية على أكثر الصحف فى العالم الغربى عامة

والأمريكى خاصة . ذلك أن الصحافة فى الدول الرأسمالية تعتمد على ميزانيات خارجية لتدعيم نفسها وحتى تقف على قدميها . فمن طريق رأس المال . استطاعت الصهيونية أن تشترى الأقلام الغربية والأمريكية لخدمة قضايا إسرائيل وكسب الرأى العام العالمى ومناصرته ضد العرب وليس أدل على ذلك من أنه عندما عرضت مجلة النيوزويك Newsweek الأمريكية للبيع اشترى أكثر أسهمها أحد اليهود بمبلغ ٨٠٠ ألف دولار وأصبحت هذه المجلة التى لها شهرتها وانتشارها وتأثيرها سلاحاً دعائياً جديداً فى يد الصهيونية [١] .

ومن الدراسات الهامة التى تؤكد مدى نفوذ وسيطرة الصهيونية على الصحف ومصادر الأنباء من وكالات الأنباء أو مراسلين أو غيرهم وتجنيدهم للترويج لوجهة نظر إسرائيل ، تلك الدراسة التى قام بها دكتور (رالف كرو) أستاذ العلوم السياسية بالجامعة الأمريكية فى بيروت . عن الصهيونية والصحافة الأمريكية والتى يحلل فيها بطريقة علمية إحصائية ، ما نشرته خمسة من الصحف الأمريكية الكبرى وهى النيويورك تيمز ، والنيويورك هيرالد تريبون ، والكريستيان سينس مونيتور ، وشيكاغو تريبون ، وديترويت نيوز خلال فترة محدودة ، وعن واقعة محددة ، هى (عدوان الإسرائيليين على قبية فى ١٤ أكتوبر سنة ١٩٥٣) وهى واقعة وضح فيها جانب الحق للعرب ، وأدانت الأمم المتحدة إسرائيل إدانة صريحة قوية ، ومع ذلك فقد أظهرت الدراسة أنه من بين مجموع (١٠٣) قصة إخبارية لم يتجاوز ما اعتمد فيها على مصدر عربى سوى (١١) بينما باغت الأخبار الصادرة من تل أبيب (٣٢) وبلغ عدد الأخبار الواردة من مصادر أخرى كالأمم المتحدة ولندن وواشنطن أو مصادر غير معروفة (٦٠) [٢]

أى أنه كان هناك	١٠ ٪	مصادر عربية
	٣١ ٪	مصادر إسرائيل

---

(١) حامد محمود : الدعاية الصهيونية ص ١٠٠ – مكتبة الإنجلو – القاهرة .

(٢) حامد محمود : الدعاية الصهيونية .

٥٩ ٪ مصادر أخرى

ولإسرائيل أكثر من مركز إعلامى فى الخارج وهى[١] :

١ – مركز الإعلام الإسرائيلى فى نيويورك – الولايات المتحدة

٢ – » » » فى باريس – فرنسا

٣ – » » » فى بيونس إيرس – الأرجنتين

٤ – » » » فى زيورخ – سويسر

هذا عن التوغل الرأسمالى الصهيونى فى الصحف الأجنبية .

ولكن هناك وسيلة أخرى تدخل بها إسرائيل إلى عقـل العالم وهى (الصحف اليهودية) فهناك شبكة واسعة من الصحف اليهودية منتشرة فى أنحاء العالم وتعتبر هذه الشبكة أكبر شبكة من نوعها تصدرها أقلية دينية بمثل عدد اليهود . الذين لا يتجاوز عددهم ١٤ مليون نسمة فى جميع بلاد العالم بما فيها إسرائيل[٢] . وتلعب الصحف اليهودية فى كل من أوربا والأمريكتين دوراً كبيراً فى إبراز أخبار إسرائيل وأوضاعها السياسية والاقتصادية والعسكرية .

الإذاعة والتليفزيون : تسيطر الصهيونية على محطات الإذاعة والتليفزيون فى بعض بلاد العالم الغربى وفى أمريكا وذلك عن طريق سيطرة رؤوس الأموال والمهيمنين على وكالات الإعلان . على سياستها وتوجيهها إلى الوجه التى تخدم مصلحة إسرائيل . فإسرائيل لا تترك مكاناً إلا واستغلت فيه الإذاعة والتليفزيون للدعاية لنفسها عن طريق البرامج الدعائية ، وتسيطر إسرائيل على أجهزة الإذاعة والتليفزيون فى معظم بلاد العالم عن طريق الإعلانات (وتدفع مثل هذه الإعلانات من جانب المنظمات الصهيونية التى

---

(١) منذر عتباوى : أضواء على الإعلام الإسرائيلى ص ١٦٣ .

(٢) حامد محمود : الدعاية الصهيونية ص ١١٤ .

تتمتع بالإعفاءات الضريبية ويقدر ثمن الإعلان الواحد بحوالى عشرة آلاف دولار)[١]

السينما والمسرح : من الملاحظ أن الصهيونية تعودت كل عام تقريباً سواء فى مجال السينما أو المسرح أن تطلع على العالم بقصة مثيرة تذكره بجرائم هتلر والأهوال التى لاقاها اليهود على يديه وفى كل مرة يثيرون فيها مثل هذه القصة يصاحبونها بأساليب فنية مثل تحديد المسئولية الفردية للمواطن أمام جرائم حكومية أو تحديد المسئولية الجماعية لشعب تحكمه فئة نازية وهكذا . وفجأة تتحول هذه القصة أو المسرحية إلى حديث كل أوربا وأمريكا مهما كانت تافهة فنياً . ولكن من الملاحظ أن الهدف منها هو تذكير بالمأساة اليهودية وذلك فى إلحاح مستمر ، وتكرار رتيب للأهوال والعذاب ومعسكرات التعذيب وغيرها التى لاقاها اليهود فى الحرب العالمية الثانية ، كما أن ٩٠٪ من العاملين فى عالم السينما فى هوليود مثلا من اليهود ، من منتجين ومخرجين ومشرفين ورأسماليين [٢] .

الكتب : تغرق إسرائيل أسواق العالم بالكتب التى تخدم دعايتها ، فقد نشرت الصهيونيـة كتاب « الخروج » عن نشأة دولة إسرائيل وملأته بالأكاذيب والافتراءات على أصحاب البلاد الشرعيين من عرب فلسطين وأظهرتهم للقارئ الأجنبى فى صورة القساة غلاظ القلوب فاستطاعت بذلك أن تستدر عطف الملايين نحو إسرائيل[٣] . وتعمد إسرائيل إلى عمل أكثر من شىء فى آن واحد لخدمة دعايتها عن طريق الكتب :

١ — إصدار الكتاب وإغراق الأسواق بهذا الكتاب فقط .

٢ — الدعاية العريضة له فى الإذاعة والتليفزيون بحيث لا يجد القارئ مفرًا من شرائه لأنه مدفوع لذلك عن طريق الدعاية من ناحية ولأنه لم يجد أمامه غيره .

٣ — السيطرة على دور النشر نفسها .

---

(١) تحسين بشير — النشاط الإعلامى القومى فى الولايات المتحدة — بيروت ١٩٦٩ .

(٢) حامد محمود — الدعاية الصهيونية ص ١٢١ .

(٣) المرجع السابق ص ١١٠ .

ثانياً ـ وسائل الاتصال الشخصي :

تؤمن إسرائيل بأهمية الاتصال المباشر مع الدول التي تربطها بها علاقات وصلات لتدعيم سياستها ومخططاتها وهذا يفسر الزيارات المتعددة التي يقوم بها المسئولون في هذه الدول لإسرائيل ، فإسرائيل بمساعدة الصهيونية العالمية تستغل هذه الزيارات استغلالا واسع النطاق للدعاية لأهدافها والعمل على تحقيقها[١] .

وإسرائيل تهدف من وراء هذه الزيارات المتبادلة إلى تحقيق عدة أهداف :

١ ـ الحصول على المزيد من التبرعات والهبات والمساعدات والأسلحة .

٢ ـ الحصول على التدعيم المعنوي وإثارة هذه الدول على الدول العربية وحثها على كف المعونات عنها والضغط عليها ، وكسب التأييد السياسي لهذه الدول في المحافل الدولية .

٣ ـ تصوير العرب بأنهم أعداء السلام وذلك بالإلحاح المستمر والترديد على أسماع زائريها أو في خطب وتصريحات المسئولين عن زيارتهم للدول الأخرى على ضرورة إيجاد حل للأزمة لضمان السلام في المنطقة ، وكأن العرب لا يريدون السلام .

٤ ـ وإسرائيل تستهدف التمهيد العقلي والنفسي لمشاريع تغلغلها الاستعمارية في الدول النامية لاستغلال مواردها وزيادة التبادل التجاري معها ومواجهة السياسة العربية وانعكاساتها في هذه المنطقة[٢] .

هذا إلى جانب ما للاجتماعات والندوات العامة من أثر كبير كوسيلة من وسائل الدعاية ، وكذلك دور الخاخامات الذين يشكلون نسبة كبيرة من القيادة العليا للجماعات الصهيونية ، وتأتي أهمية هؤلاء الخاخامات في الدعاية من أن الأشخاص الذين يكونون محط الأنظار لتولي القيادة أميل إلى مباشرة نفوذ يتعدى أعدادهم المحدودة ، وعلى هذا الأساس تسهل مهمة الدعاية

---

(١) حامد محمود ـ الدعاية الصهيونية ص ١٩٠ .

(٢) حامد محمود : الدعاية الصهيونية ص ١٦٥ .

عن طريق الأفراد من ذوى المكانة ممن يكن لهم الآخرون الاحترام والتقدير لمواقفهم واتجاهاتهم[١] .

ثالثاً ــ المنظمات الدولية غير الحكومية :

ومن أنجح الوسائل التى تستخدمها إسرائيل فى بث دعايتها فى الخارج (الهستدروت) أى الاتحاد العام للعمال فى إسرائيل .

وقد تمكنت عن طريقه من التغلغل إلى الحركة العمالية الدولية عامة والحركة العمالية الأمريكية خاصة ، وهذا الاتحاد يسيطر على سياسته ونشاطه حزب المباى ، الحزب الحاكم فى إسرائيل ، والهستدروت نشاط دولى كبير فهو دائم الاتصال بالاتحادات العمالية ــ فى عدد كبير من الدول ــ وبجميع الهيئات الدولية التى لها صلة بشئون العمل والعمال ، وهو يحرص دائماً على حضور المؤتمرات والاجتماعات الدولية العمالية وذلك حسب تخطيط معين ومدروس[٢] ، ولا يقتصر نشاط الهستدروت على الاتحادات العمالية فى الدول الكبرى بل إنه يعطى اهتماماً خاصاً بالدول النامية وخاصة فى بزيقيا والدول الإسلامية (إلى حد إقناع بعض قادة العمال بهذه الدول بزيارة إسرائيل كما حدث فى حالة القادة النقابيين من أندونيسيا رغم دولة إسلامية وغير معترفة بإسرائيل[٣] . ويقوم الهستدروت أيضاً بجمع التبرعات لإسرائيل ، وقد نجح فى كسب تأييد الدول الغربية له كوسيلة لمساعدة إسرائيل سياسياً واقتصادياً .

وعدا دورها فى الاتحادات العمالية ، نجد أن لإسرائيل دور كبير فى المؤتمرات الاشتراكية الدولية والاتحادات الطلابية ،والمساعدات الفنية ، والمنح الدراسية والمعارض الدولية ومنظمات الشباب (المعروفة بالناحال والجدناع) التى تستغل فى الدعاية لأهداف إسرائيل والتغلغل فى الدول النامية . كما أن لجمعيات الصداقة مع إسرائيل ، وهى التى تنتشر فى كافة الأقطار الأوربية

---

(١) المرجع السابق ص ٢٠٦ .

(٢) المرجع السابق ص ١٢٨ .

(٣) حامد محمود : الدعاية الصهيونية ص ١٣٦ .

والغربية والأمريكية واليابان وبيرو والفلبين وكوريا الجنوبية — هذه الجمعيات لها أثرها الكبير فى الدعاية . ذلك لأنها تمتاز بأنها (تضم شخصيات سياسية وغير سياسية ورسمية وغير رسمية ، تتمتع بمراكز مرموقة فى بلادها[١] .

وكذلك لا يجب أن نغفل أثر التنظيمات الصهيونية واليهودية فى الخارج ذلك لأنها لعبت الدور الأكبر فى تثقيف يهود العالم بالأهداف الصهيونية مثل[٢] :

- المنظمة الصهيونية العالمية
- الوكالة اليهودية
- منظمة هداسة
- منظمة النساء اليهوديات « ويزو »
- منظمة الشبيبة اليهودية
- الصندوق القومى اليهودى
- النداء الإسرائيلى المتحد .

• • •

ويقول د عبد اللطيف حمزة أنه « بالرغم من كل هذه الإمكانيات التى للدعاية الصهيونية فى شتى أنحاء العالم فإنها لا تستحى من استخدام طريقة الاستجداء وإظهار الضعف أمام الدول الكبرى لتكتسب عطف هذه الدول عليها من ذلك أنها تستخدم كثيراً من الشعارات الغريبة فى جمع التبرعات من الجمهور الأمريكى ومنها على سبيل المثال : ادفع ديناراً تقتل عربيًا[٣] .

ويضيف د حمزة : أنه من الأساليب الهامة فى الدعاية أسلوب الاستعطاف بغية التأثير فى نفوس الشعوب والحكومات وعليه تعتمد الصهيونية كثيراً فى نشر دعايتها ضد الدول العربية فى ربوع أمريكا ، وهذه الدعاية هى التى تدافع بها إسرائيل عن كيانها وبقائها فى المنطقة . . .

---

(١) منذر عنتيارى — أضواء على الإعلام الإسرائيلى ص ١٦٣ .

(٢) المرجع السابق ص ١٦٧ .

(٣) عبد اللطيف حمزة الإعلام والدعاية ص ١٩٢ .

ومن ذلك ما تعتمد عليه الصهيونية هناك فى أمريكا من استخدام عبارات مؤثرة فى نفوس الشعب الأمريكى مثل قولهم (أعطونا لنعيش) ومع هذه العبارة رسم لطفل صغير بريد الطعام فلا يجده ، وبذلك يستدرون عطف الأمريكيين ويستمدون عطاءهم[١] .

وعلى الرغم من اتباع إسرائيل لكل هذه الأساليب الشاملة والواسعة والمتقنة فى الدعاية والترويج لأهدافها وقضيتها ، على الرغم من كل هذا إلا أنها لا تعترف بأن ما تقوم به يسمى « دعاية » بل تسميه هى « إعلاماً » برغم الفرق الكبير بين الدعاية والإعلام .

وفى هذا يقول صمويل هالبرن « ليس هناك جماعة هادفة تعترف بأنها تمارس نشاطاً دعائياً ، ونتيجة للدلالات غير المستحبة التى ينطوى عليها لفظ الدعاية فى اللغة الدارجة فإن استخدام الدعاية لا يلصق دائماً إلا بالخصوم[٢] .

والآن وبعد أن استعرضنا أيديولوجية الدعاية الإسرائيلية وأساليبها وأدواتها ، يجدر بنا أن ننتقل إلى تقديم رد الفعل العالمى تجاه هذه الدعاية الإسرائيلية الواسعة والشمولية والمتنوعة ، التى كانت حتى حرب أكتوبر ١٩٧٣ تحاصر العقل الغربى حصاراً محكماً فى غيبة الإعلام العربى التامة . .

ولعل النموذج التالى أن يجيب بوضوح عن هذا التساؤل[٣] :

فقد أجرى معهد (جالوب) للرأى العام استفتاء للشعب الأمريكى عن مدى معرفته بالموقف فى الشرق الأوسط ولتبيان تفكيره بالنسبة لما يجب أن يتخذ فى حالة قيام حرب شاملة جديدة فى المنطقة (وذلك فى المدة من ٢٩ يونيو إلى ٣ يوليو ١٩٦٨) وكان من ضمن الأسئلة التى تضمنها الاستفتاء السؤال التالى :

---

(١) المرجع السابق ص ١٦٥

(٢) » » ص ١٩٥ .

(٣) تحسين بشير : النشاط الإعلامى العربى فى الولايات المتحدة — أبحاث فلسطينية بيروت ١٩٦٩

إذا قامت الحرب فهل تمد أمريكا إسرائيل أو العرب بالسلاح ؟

— أجاب ٢٤ / بمد إسرائيل بالسلاح

— وأجاب ٣ ٪ بمد العرب بالسلاح

(كان هؤلاء هم الموافقون على مبدأ مد السلاح أصلا)

— وأجاب ٥٩ ٪ بعدم مد إسرائيل بالسلاح

— وأجاب ٧٩ ٪ بعدم مد العرب بالسلاح

(وهؤلاء هم عدم الموافقون على مبدأ المد بالسلاح)

وعلى أية حال فقد أثبتت دراسة جالوب أن :

٥٥ ٪ يتعاطفون مع إسرائيل

٤٤ ٪ يتعاطفون مع العرب

٤١ ٪ محايدون

وليس هذا فقط ، فقد أثبتت الدراسة أن الرأى العام فى أمريكا — نتيجة الدعاية الإسرائيلية المضللة — جاهل بأسباب النزاع بين العرب وإسرائيل . .

فقد جاءت الإجابات عن سؤال عما يروى من أسباب النزاع بين العرب والإسرائيليين على النحو التالى :

العداء التاريخى القديم	٢٢ ٪
ملكية الأرض (حقوق إقليمية)	١٦ ٪
ادعاء العرب بأن اليهود استولوا على أرضهم	٥ ٪
الشيوعية	٤ ٪
أسباب اقتصادية	٤ ٪
أسباب سياسية	٣ ٪

أسباب متنوعة	١٠ ٪
لا رأى لهم	٤١ ٪ [1]

فكأن ٥ ٪ من الآراء هى التى رجحت أن السبب هو الاستيلاء على الأراضى العربية وكأن الرأى العام الأمريكى يجهل (وربما يتجاهل عمداً) مشكلة اللاجئين وحقوق شعب فلسطين . وهذا إن دل على شىء إنما يدل على أن هناك فجوة كبيرة بين المطالب العربية العادلة وبين إدراكها والعلم بها فى صفوف الرأى العام الأمريكى من ناحية . ويدل كذلك على فشل الدعاية العربية والإعلام العربى فى شرح قضية فلسطين فشلا ذريعاً من ناحية ثانية .

هذا عن الرأى العام الأمريكى . . ولكن ماذا عن ساسة أمريكا ؟

تقول الدراسة التى أعدها المعهد الأمريكى للاتصال السياسى « أن الضغط الداخلى على الحكومة الأمريكية كان شديداً ومنظماً لصالح إسرائيل » .

هذا وقد حوت ٥٠ ٪ من المقالات فى الصحف الأمريكية تعليقات على تصريحات الرئيس الراحل جمال عبد الناصر . وقد وجدت الدراسة أن الأوصاف التى استخدمتها المقالات فى تصوير موقف الرئيس كانت تصوره بما يلى : داعية حرب ، مهدد ، غير متعاون لإنجاح جهود السلام .

هذا فى الوقت الذى اتخذت فيه افتتاحيات الصحف موقفاً مؤيداً لإسرائيل ولم تنشر أى افتتاحية موالية للعرب ولا حتى شارحة لموقف العرب ، ولم يقتصر الهجوم على عبد الناصر وحده بل شمل كل ما هو عربى ، ويلاحظ أن الصورة المطبعة عن العربى هى صورة سلبية يكاد لا يكون فيها أى عنصر مدح ، وقد صور العربى بالأوصاف الآتية :

أسمر ، زائغ العينين ، متآمر ، جبان

وقد عمل التليفزيون والسينما بالصورة والصوت على تقوية هذا الانطباع .

فى حين صور الإسرائيلى بالأوصاف التالية :

شاب ، نشط ، محب للفكاهة ، مجد ، شجاع ، لوحت الشمس بشرته .

---

(١) تحسين بشير : المرجع السابق ص ١٠ ، ص ١٩ إلى ٢١ .

وصاحب هذا حملة واسعة لتذكير القراء بالاضطهاد الذى وقع على اليهود فى الماضى وعلى جرائم النازية وعلى مقتل الملايين من الأبرياء فى المعتقلات ، وعلى التلميح بأن العرب يرغبون فى القضاء على إسرائيل وبذلك تم خلق الإيحاء النفسى بالربط بين الموقف العربى والجرائم النازية . ويلاحظ أن نجاح هذه الحملة قد خلق لإسرائيل رصيداً كبيراً من التأييد مكنها من إظهار هجومها على العرب وتوسعها فى صورة هجوم من العرب على إسرائيل ، وأضفى على عملية التوسع الإقليمى صورة الرغبة فى الحصول على السلام الدائم والحدود الآمنة الطبيعية .

هذا بالإضافة إلى أن التقارير الصحفية قبل حرب ١٩٦٧ قد احتوت الكثير من المبالغات التى تشوه الحقائق لصالح إسرائيل : فى لعبة الأرقام مثلا نجد من يقول (٦٠ مليون عربى يحاربون ٢,٧ مليون إسرائيلى) الأمر الذى كان يستجلب العطف على إسرائيل ، فى حين أن تقدير المعلقين العسكريين كان يضع أرقام الجيوش العربية بما لا يزيد عن ٢٨٥,٠٠٠ جندى فى حين أن جيش إسرائيل قدر مجموعه بحوالى ٣٠٠,٠٠٠ جندى ، وفى حين أنه كان معروفاً أن الجيش الإسرائيلى سيحقق النصر فى ثلاثة أو أربعة أيام على الأكثر ، وبرغم هذه الصورة الموضوعية فإن التشويه فى الأرقام والتحيز فى عرضها بدا للأمريكى وكأن إسرائيل الحمل الوديع تتعرض لافتراس الذئب العربى الشره .

والسر فى ذلك أن أبرز خصائص الخط الدعائى الصهيونى اعتماده على الإيحاء والتذكير ثم التثبيت لا على الإقناع ، ومن هنا فإن أخطر ما فى الدعاية الصهيونية لا يكمن فى أنها تجعل المرء يفكر بعواطفه ويجعل من مطلق العواطف موقفاً فكرياً له فحسب ، بل إنها تفعل أمراً من ذلك كله : أنها تجعل المرء يتعاطف بعمق مع ما يؤمن فى ظل التفكير الهادئ — لو أتيح له — بأنه سيئ وغير إنسانى تماماً ، وعلى أية حال فإن هذه هى صفات كل دعاية لا ترتكز على أيديولوجية حقيقية وطيدة الأركان وإنما تقوم على أسس برجماتية واهية كما أثبتت حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

والأمر الذى لا شك فيه أن نتائج حرب أكتوبر ١٩٧٣ بما أحدثته من خلخلة فى البناء الدعائى الإسرائيلى والصهيونى وبكشفها عن مدى خداعه وكذبه هى نقطة الانطلاق الأساسية التى يجب أن يرتكز عليها الإعلام العربى الخارجى لو كانت هناك رغبة صادقة فى تنشيط وترشيد هذا الإعلام ، على أن يكون أساس صراعنا الدعائى مع إسرائيل كشف زيف الأيديولوجية الصهيونية وإبراز جوانب التماثل الدقيق بين أساليبها وأساليب النازية ، وكل الحركات الاستعمارية الاستيطانية التى شهدها وعانى منها عالمنا المعاصر .

وبالإضافة إلى ذلك ، فإن الوقت قد حان فى اعتقادنا لوضع وبدء تنفيذ خطة إعلامية بعيدة المدى لتحسين صورة العربى فى مخيلة شعوب العالم الخارجى من واقع الإنجازات الكبيرة القائمة فى كافة مجالات حياتنا الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والفنية على مستوى العالم العربى بأكمله[1] ، وبتعاون وتنسيق تام بين كافة المؤسسات السياسية والثقافية والفنية العربية . . .

---

(١) مختار التهامى : الرأى العام والحرب النفسية – مقدمة الطبعة الثانية .